أحمد زرزور

المقاتل النبيل

"يا صاحبى ليه بتسبنا فى وسط الوجع، حزن وضياع/ وانت اللى كنت تُرد ضعفنا قوة/ وترسم ملامحنا الفتوة ع الوجوه/ علمتنا وقت المعارك يشتد عودنا ويقوى/ لا نخاف من طاغية ولا جبروت/ يا عم أحمد يا صاحبى/ يا رفيق العمر يا أجمل رفيق/ الدنيا واسعة، بس الخناق بيضيق/، ،." هكذا رثيت صديقى الحبيب الشاعر الراحل أحمد زرزور بقصيدة طويلة هذا جزء منها، فقد رحل فى صمت مساء يوم الأثنين الموافق ٤ سبتمبر ٢٠١٢ فى شقته بشارع ناهيا ببولاق الدكرور، عن عمر يناهز الثالثة والستون، بعد صراع مع مرض الكبد اللعين، ليترك لنا فراغا ثقافيا كبيرا، ولقد طفرت الدموع من عينىّ عندما علمت بخبر وفاته، وفتحت صفحتى على الفيس بوك، وكتبت "لم أحزن على رحيل أحد بعد وفاة والدى مثلما حزنت على رحيل صديقى ورفيق دربى الشاعر الكبير أحمد زرزور، فقد كان نعم الأخ والصديق والمعلم، كان رحمه الله يمتلك قلبا رقيقا يسع محبة العالم، وروحا شفافة تشع فتجذب كل من يقترب منها،

حنونا عطوفا ينحاز دائما إلى الفقراء باعتباره واحدا منهم، متواضعا تواضع العلماء، شريفا عفيفا محبا لأصدقائه، شجاعا فى الحق لا يخاف فى الله ليمة لائم، شرسا عنيدا فى معاركه وما أكثرها، زاملته فى العمل بمجلة قطر الندى لأكثر من خمسة عشر عاما، اختلفت معه كثيرا فى العمل وفى وجهات النظر، لكننى لم أخسره أبدا كأخ وصديق" وجاءتنى تعليقاتى الأصدقاء تدعو له بالرحمة والمغفرة.

ولد أحمد زرزور فى ٢٠ فبراير عام ١٩٤٩ بقرية سرهويت بمحافظة المنوفية، حصل على دراسته الأساسية فى المنوفية، ثم انتقل إلى القاهرة وحصل من جامعتها على ليسانس الحقوق عام ١٩٧٤، وبعد تخرجه عمل أخصائيا ثقافيا بهيئة قصور الثقافة، ثم مديرا لمكتبة ثقافة بولاق الدكرور وهو مكان صغير عبارة عن صالة تقع بالدور الثانى بنادى بولاق الدكرور الرياضى، هذا المكان تحول إلى بؤرة إشعاع ثقافى وأدبى وسميت بورشة (بولاق الدكرور) بفضل زرزور ورفاقه من الأدباء النشطين الذين كانوا يقطنون هذه المنطقة، ومنهم: الراحل خيرى عبد الجواد، وسمير عبد الفتاح، وربيع مفتاح، ومجدى إبراهيم، وشوقى عبد الحميد، ناصر الحلوانى، والراحل حازم شحاته وكوثر مصطفى وغيرهم، من الأدباء الذين كانوا حريصين على لقاء الأربعاء من كل أسبوع بالورشة، التى استقطبت كبار الأدباء والشعراء ناقشت أعمالهم الإبداعية، ومنهم: إدوار

الخـراط، ومحمـد جبريـل، والراحـل خـيرى شـلبى، عبـد المنعـم عـواد يوسـف، ويوسـف القعيـد وغيرهـم، كمـا صـدر عـن الورشـة مجلـة «جسـور» واسـتمرت الورشـة فـى عطائهـا الإبداعـى سـنوات طويلـة، وتـرددت عليهـا فـى بدايـة حياتـى الإبداعيـة مثلمـا تـرددت علـى النـدوات الأدبيـة التـى كانـت تقـام فـى وسـط القاهـرة، وكان الراحـل سـببا أساسـيا فـى تخصيـص مبنـى إدارى بشـارع المشـتل ببـولاق الدكـرور ليكـون بيتـا للثقافـة بهـذه المنطقـة، حينمـا ضـاق المـكان القديـم عليهـم، فكتـب مذكـرة إلى محافـظ الجيـزة وقتـذاك الدكتـور عبـد الرحيـم شـحاتة يـوم ١٩٩٥/٩/١٠، مطالبـا إيـاه بمـكان بديـل يليـق بممارسـة النشـاط، وهـذا نـص المذكـرة التـى عثـرت عليهـا بخـط يـده فـى ملـف البيـت بالفـرع الثقافـى حينمـا طنـت أعمـل مديـر عـام لفـرع ثقافـة الجيـزة (الأسـتاذ الدكتـور عبـد الرحيـم شـحاتة، محافـظ الجيـزة، تحيـة واحترامـا، نحـن شـباب وأطفـال بـولاق الدكـرور، نتوجـه بهـذا الرجـاء لسـيادتكم،فلا توجـد مكتبـة لنـا نسـتطيع أن نمـارس فيهـا نشـاطنا، مـا عـدا حجـرة صغـيرة جـدا جـدا بالنـادى الرياضـى الاجتماعـى ببـولاق الدكـرور التابـع لمديريـة الشـباب والرياضـة، ونحـن نأمـل أن يتبنـى السـيد الوالـد الدكتـور عبـد الرحيـم شـحاتة هـذا المطلـب الحضـارى لآلاف الأطفـال والشـباب الذيـن يحلمـون بقصـر ثقافـة يليـق بالمنطقـة الأكثـر إزدحامـا بمحافظـة الجيـزة، علمـا بأنـه يوجـد مـكان مناسـب لهـذا الغـرض» وهـو أرض المشـتل الكائـن

خلف مقر نادى بولاق الدكرور الرياضى الاجتماعى، . ونحن على ثقة من محبتكم لنا، مع عظيم الأمل والرجاء، عن سكان بولاق الدكرور أطفالا وشبابا ومثقفين الشاعر أحمد زرزور، مدير تحرير مجلة قطر الندى بالهيئة العامة لقصور الثقافة، ومن سكان المنطقة) وجاءت تأشيرة السيد المحافظ على هذه المذكرة فى نفس يوم تقديمه لها كا لآتى (السيد رئيس حى غرب، السيد مدير عام الثقافة، ويبحث عن مكان ملائم لإقامة مكتبة بشارع المشتل عشوائيات) وبالفعل لم تمر شهور قليلة إلا وتخصص المحافظة مكتبة ثقافية بهذا الحى مازالت قائمة، وسميت بمكتبة «زنين الثقافية» إذن لولا إخلاص ومحبة الراحل للثقافة والمثقفين لما كان لهذه المكتبة من تواجد حتى الآن لتكون منارة ثقافة لأبناء هذه المنطقة، فكان كل مكان يعمل به يترك بصماته عليه، ولم تمض شهور قليلة أخرى إلا وينتقل زرزور من العمل ببيت ثقافة بولاق الدكرور لتأسيس مجلة قطر الندى مع الناقد الكبير محمد السيد عيد الذى كان يعمل وقت ذاك، مديرا لإدارة الثقافة العامة بهيئة قصور الثقافة، بعد تكليفه من قبل حسين مهران رئيس الهيئة الأسبق، لإصدار مجلة للأطفال، فانتدب زرزور ليكون أول مديرا لتحريرها، وكان من حسن حظى أننى شهدت بدايات تأسيس هذه المجلة، بالدور السابع بعمارات العرائس مقر إدارة الثقافة العامة، حيث كنت أعمل بها موظفا، وحضرت الاجتماعات

والمناقشات التى كانت تدار بين إدارة المجلة وكبار الكتاب والرسامين، وتستمر لوقت متأخر من الليل بعد انصراف الموظفين، والتحقت للعمل بالمجلة بداية من العدد السادس سكرتيرا للتحرير، أى بعد مرور خمسة أشهر على إصدارها، ثم مديرا للتحرير بعد ذلك، وظللت أعمل بها طيلة سبعة عشرة عاما متصلة لم أبتعد عنها يوما واحدا، شهدت بداياتها، وتعصرها، وازدهارها، وكنت قريبا جدا من روح ونفس الراحل أحمد زرزور، ظلت المجلة بلا مكان ثابت لها لأكثر من اثنى عشر عاما -إلى أن خصص لها مكان بعد ذلك بعمارة ستراند بباب اللوق- كنا ننتظر موعد انصراف الموظفين من إدارة الثقافة العامة لنفترش مكاتبهم بالنصوص والرسوم الخاصة بالمجلة، لنقرئها ونجيزها للرسم، بل نقابل المتعاملين مع المجلة فى نفس المكان أيضا، ظللنا سنوات على هذا الوضع إلى أن انتقل الناقد محمد السيد عيد إلى إدارة الجمعيات الثقافية بالدقى، فانتقلنا معه إلى هناك، ولكن ما لبث ان ترك المجلة، وعين بدلا منه الفنان عبدالرحمن نور الدين، مشرفا عاما على النشر، وكان يعمل وقتها رئيسا لإقليم القناة وسيناء الثقافى، فعدنا مرة ثانية إلى مبنى عمارات العرائس، ولكن هذه المرة كنا نجلس فى إدارة المواهب بالدور السادس بعد انصراف الموظفين، ورغم أنها كانت أيام صعبة إلا أن كان لها مذاق خاص، كنت فى تلك الفترة لا أكتب للطفل، ولم أجرب هذه الكتابة

قط، ولكن أحمد زرزور بشفافيته وصدقه دفعنى دفعا للكتابة للأطفال مؤكدا أننى سأنجح كشاعر لهم، فجربت وكتبت قصيدة، وقدمتها لزرزور على استحياء إلا أنه أعجب بها جدا وأصر على نشرها فى العدد الذى كنا نجهز له، وما زلت أذكر بدايتها: (أنا قرد وشهرتى قرداتى/ ألعب فى الهوا بهلوناتى/ وبسرعة أشب/ وأقزقز لب/ ولا أخاف م الدب/ وأعزف أرغولى ونایاتى) ولم أصدق رد الفعل القوى الذى فعلته هذه القصيدة بعد نشرها، وكانت ميلاد حقيقى لى فى الكتابة الشعرية والنثرية للأطفال، وضمتها إلى مجموعتى الشعرية الأولى للأطفال التى نشرت بعنوان (رسمنا وردة) فى سلسلة كتاب قطر الندى عام ١٩٩٦، وهو الذى اختار لى اسم هذه المجموعة، كان زرزور لا يتردد مطلقا فى مساعدة من يلجأ إليه من الكتاب والرسامين، بل يمد لهم يد العون والمساعدة، ويفتح لهم قلبه وصفحات مجلته على مصرعيها، وكان يجلس لساعات يصحح ويعدل فى القصص والسيناريوهات والأشعار لمن يرى أن لديه موهبة فى الكتابة لكنها لم تنضج بعد، وأعرف أسماء صار لها تواجدا فى كتابة الطفل لولا توجيهات زرزور وصبره عليها، ما كان لها هذا التواجد، وبهذا صارت قطر الندى مدرسة لتخريج المبدعين من الكتاب والرسامين والشعراء، وكنت أختلف معه كثيرا فى أن نلجأ مباشرة للمحترفين كى نصعد بالمستوى الفنى للمجلة، لكنه -رحمه الله- كان يراهن

على الشباب، ويرى فيهم مستقبل كتابة الطفل، وأعترف أنه نجح فى الرهان فى الكثير من الأحايين، فقدمت قطر الندى للحياة الأدبية العديد والعديد من الكتاب والرسامين صار لهم تواجدا كبيرا على الساحة، منهم من اعترف بفضل المجلة عليه، وكثيرا من تنكروا لها، أذكر أن المجلة تعرضت لمؤامرة لإغلاقها عام ١٩٩٨، وتأخرت مكافآت هيئة التحرير، والكتاب والرسامين لأكثر من سبعة أشهر متتالية، ولولا محبة القائمين عليها لكانت توقفت منذ هذا التاريخ، ولكن خضنا معركة مع المتربصين بها وللأسف كانوا من كبار قيادات الهيئة، كتبنا بيانا ووزعناه أنا وزرزور على الصحف، وجاء برد فعل قوى استأنف على إثره صدور المجلة، وصرف المكافآت، فى تلك الفترة حدثت ضغوط قوية على عبد الرحمن نور الدين المشرف العام على النشر من قبل د. مصطفى الرزاز رئيس الهيئة أنذاك، بإبعادى عن المجلة وتعيين سكرتير للتحرير بدلا منى، وكان هذا بإيعاز من ممدوح كمال الذى اختلفت معه فى العمل، وكان وقتها يعمل مديرا للمكتب الفنى، وكان ذا سطوة وصاحب كلمة مسموعة لدى رئيس الهيئة، وكنت موظفا فى إدارته، ولولا وقوف زرزور بجانبى ومماطلته لهم بزعم البحث عن سكرتير تحرير كفء، لكنت تركت المجلة منذ هذا التاريخ، مواقف كثيرة حدثت بينى وبينه، أذكر أن خلافاً نشب بينى وبين الراحل على إثر فرية من أحد المترددين على المجلة أراد

الوقيعة بينى وبينه، فأبلغه كلاما على لسانى قلته فى حقه كذبا وبهتانا، ولم يسألنى زرزور ولم يعاتبنى بل أخذ منى موقفا عدائيا طفوليا، وترك لى رسالة من أربعة صفحات لا زلت أحتفظ بها إلى الآن بخط يده، يهاجمنى فيها هجوما شرسا على إثر هذه الفرية التى صدقها وكأنها حقيقة ماثلة، وألمح لىّ فى خطابه أنه لم يستقر بعد على اختيار مدير لتحرير المجلة، بعد أن رقى هو إلى نائب رئيس تحرير، فى إشارة ضمنية أنه سيأتى بمدير تحرير غيرى، ولم يعطنى فرصة للدفاع عن نفسى، فكان -رحمه الله- لا يجيد المواجهة، بل يفضل أن يفرغ طاقته الجوانية الحادة فى الكتابة، التى كانت لاذعة وجارحة ولم ينج منها أحد من أصدقائه المقربين، ولما باءت محاولاتى فى الحديث معه، تعاملت معه بنفس الطريقة وتركت له خطابا وسافرت إلى البلد فى أجازة لمدة خمسة عشر يوما، وقلت له ما معناه «أن الأرزاق بيد الله، وسوف أسافر فى أجازة طويلة وأتركك تفعل ما يمليه عليك ضميرك» عدت من الأجازة وكأن شيئا لم يكن، ولم يعاتبنى -إلا بعدها بسنوات- ولم أسأله وكأن بيننا إتفاق ضمنى أن نتخطى هذه المشكلة.

الحس الوطنى والقومى

أصدر أحمد زرزور خلال رحلته الأدبية عددا من المجموعات الشعرية للكبار، منها: «ترمل الإمبراطوريات،

حريـر الوحشـة»وعددا مـن المجموعـات الشـعرية للأطفـال، منهـا: «ويضحـك القمـر، مـا قالتـه الغيمـة الأخـيرة، وردة القمـر، بلياتشـو، هيـا بنـا نلعـب، أغنيـة الولـد الفلسـطيني، مرحبـا بالنـدى» وكان صاحـب فكـرة تقديـم لوحـات الأطفـال الصغـار بقصائـد علـى الغـلاف الأخـير مـن مجلـة قطـر النـدى، بعنـوان: (لوحـة وقصيـدة)، وظـل لسـنوات طويلـة، وفـاز بالعديـد مـن الجوائـز منهـا: جائـزة عيـد الفـن الأول عـام١٩٧٢ وجائـزة عيـد الثقافـة مـن المجلـس الأعلـى للثقافـة عـام ١٩٩١، وجائـزة الدولـة التشـجيعية فـى شـعر الأطفـال عـام ١٩٩٢ عـن ديوانـه (ويضحـك القمـر)،

كان حريصـا – رحمـه الله– علـى الخـط الوطنـى والقومـى للمجلـة، وكتابـة السياسـة للأطفـال بأسـلوب بسـيط وراق، مؤمنـا بـأن الطفـل شـريك لنـا فـى الوطـن ولا بـد أن يعـرف مـا يـدور حولـه علـى المسـتوى المصـرى والعربـى، وأصدرنـا أعـدادا خاصـة عـن الانتفاضـة الفلسـطينية، وعـن لبنـان، وعـن حسـن نصـر الله أثنـاء حـرب لبنـان مـع إسـرائيل، وغيرهـا مـن المواقـف الشـجاعة التـى تحسـب لمجلـة أطفـال كانـت الوحيـدة ضمـن مجـلات الأطفـال فـى العـالم العربـى التـى تتنـاول هـذا الجانـب الوطنـى بهـذا الاهتمـام.

أبعـد زرزور عـن مجلـة قطـر النـدى لأول مـرة عـام ٢٠٠٣ حينمـا عـين أنـس الفقـى رئيسـا للهيئـة، وحـدث خـلاف بينـه وبـين زرزور، لأن الفقـى أراد أن يقلـص دوره فـى المجلـة،

بتعيين الفنان/ عبد الرحمن نور الدين بدلا منه رئيسا للتحرير، على أن يكون زرزور نائبا له، ورفض زرزور رفضا قاطعا وترك المجلة، ولكنه لم يترك أنس الفقى، وشن عليه حملة صحافية، وهاجمه بشراسة فى سلسلة مقالات منتظمة بجريدة العربى الناصرى، وحاول الفقى إثنائه عن تلك الحملة وتدخل وسطاء من الصحفيين المقربين من أنس الفقى، لكنه رفض بإباء كل الوساطات والإغراءات التى قدمها الفقى له، وأثر على موقفه من المجاهرة له بالعداء وكان الفقى فى عز عنفوانه بقربه من السلطة الحاكمة، وعندما اتصلت به لمؤازرته ولكى أعلمه بأننى سوف أترك المجلة تضامنا معه، لكنه رفض أن أترك المجلة وقال لى فى نبوءة تحققت بعد ما يقرب من العامين: «لا تترك المجلة لهم، فنحن من صنعناها وسوف نعود إليها مرة أخرى» وظل الوضع على ما هو عليه إلى أن ترك الفقى الهيئة وخلفه الفنان/ أحمد نوار رئيسا لها، فأعاد أحمد زرزور مرة أخرى لرئاسة التحرير، بل عينه أيضا مديرا للنشر بالهيئة، وأحدث زرزور تغييرا طفيفا فى هيئة التحرير، واستحدث أبوابا جديدة برؤى جديدة وأقلام شابة بدأت تدب وتتوافد إلى المجلة فور علمهم بعودة زرزور، محتضن الشباب، ولم يمر وقت طويل حتى عين نوار زرزور مديرا عاما لإدارة القصور المتخصصة بجانب رئاسته لتحرير المجلة، وكان هذا هو العصر الذهبى له، فقد أعاد نوار للرجل بعض من حقوقه المهدرة على

مـدار عملـه فـى الهيئـة، ولكـن الدنيـا لم تـترك أحـدا علـى حالـه، فأحيـل نـوار لسـن المعـاش وتـرك الهيئـة، وعـين الدكتـور/ أحمـد مجاهـد خلفـا لـه، وظـل زرزور رئيسـا للتحريـر إلى أن بلـغ سـن المعـاش، فعـين مجاهـد محمـود الهنـدى رئيسـا لتحريـر المجلـة، ولا أنسـى يـوم أن دخـل الهنـدى علينـا مقـر المجلـة، وكنـا لا نعـرف سـر زيارتـه المفاجـأة فرحبنـا بـه، وأدخلنـاه إلى غرفـة رئيـس التحريـر، فرحـب بـه هـو الآخـر وأجلسـه بجـواره، فـإذا بالهنـدى يخـرج مـن حقيبتـه ورقـة وقدمهـا لـزرزور فـى حركـة دراماتيكيـة، قائـلا: «أنـا بقيـت رئيـس التحريـر» وكان زرزور قبلهـا بأيـام خارجـا مـن مستشـفى الحسـين الجامعـى مـن جـراء نزيـف دمـوى مـن المـرىء، فلـم يتحمـل الرجـل هـذا الموقـف الغـير إنسـانى، وتلعثـم لسـانه مـن هـول المفاجـأة، وأخـذ الرجـل يلملـم فـى أوراقـه مـن أدراج مكتبـه، وأراد أن يقـف ليـترك المـكان للهنـدى فخانتـه قدمـاه، لكننـى أسـندته حتـى وقـف وحمـل حقيبتـه، وقلـت لـه «لا يهمـك أنـت الشـاعر الكبـير أحمـد زرزور» وكان موقفـا صعبـا لم أر قسـوته مـن أحـد مثلمـا رأيتـه مـن رئيـس التحريـر الجديـد، ولكـن ربـك بالمرصـاد فلـم يطـل الأمـد بـه أكثـر مـن خمسـة شـهور كانـوا أسـوأ فـترات المجلـة علـى الإطـلاق، مـن الناحيـة الفنيـة والأدبيـة، وحدثـت مهـازل – لم يتسـع المجـال هنـا لذكرهـا ولهـا مقـام آخـر سـوف أذكرهـا بالتفصيـل– وعلـى إثـر هـذه المهـازل، أقالـه الدكتـور مجاهـد مـن المجلـة ليخـرج

منها بطريقة أكثر دراماتيكية مما دخلها ويكون بهذا أسرع رئيس تحرير مر على المجلة، وعين بدلا منه الشاعر/ عمرو حسنى رئيسا للتحرير ومازال حتى الآن، ظل زرزور بعيدا عن المجلة طوال هذه الفترة، حتى انتقل الدكتور مجاهد لرئاسة هيئة الكتاب وأحل مكانه الشاعر/ سعد عبد الرحمن رئيسا لهيئة قصور الثقافة، وأراد أن يعيد الاعتبار لأحمد زرزور فعينه مستشارا للتحرير، وظل اسمه على المجلة إلى أن توفاه الله، وكأن روحة كانت معلقة إلى أن ترى اسمه مرة ثانية على المجلة، وقد كرمت الشاعر أحمد زرزور العام الماضى فى مؤتمر اليوم الواحد بالجيزة، كما كرمته وزارة التربية والتعليم بأن أسندت إليه تأليف بعض الأناشيد التى قررتها على تلاميذ المرحلة الابتدائية، ومن ثم أطالب الشاعر/ سعد عبد الرحمن رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة، بضرورة إقامة احتفالية كبرى تليق بالراحل، وطبع أعماله الشعرية للكبار والصغار بسلسلة الأعمال الكاملة التى تصدرها الهيئة، وإطلاق اسمه على بيت ثقافة زنين الذى كان سببا فى تخصيصه للهيئة، وأنا على يقين من أن الشاعر سعد عبد الرحمن سيوافق على الفور بهذه الطلبات بعد قراءته لهذا المقال، رحم الله شاعرنا الكبير المبدع أحمد زرزور الذى أثرى حياتنا الأدبية بأشعاره للصغار والكبار.

★ نشرت فى جريدة القاهرة ١٣ نوفمبر ٢٠١٢